

## المنهج العلمي عن برتراند راسل وسؤال الحقيقة

### *The Scientific Method According to Bertrand Russell and the Question of Truth*

أحمد حبيبي\* habibi ahmed  
habibiahmed2012@gmail.com  
عبد الحكيم صايم saim abdelhamim  
saimabdelhakim@yahoo.fr  
فلسفة جامعة محمد بن احمد- وهران 2- (الجزائر)  
فلسفة جامعة محمد بن احمد- وهران 2- (الجزائر)

\*\*\*\*\*

تاريخ النشر: 2025-05-17

تاريخ القبول: 2025-05-05

تاريخ الإرسال: 2024-12-30

ملخص:

جاءت البدايات الحقيقية للفلسفة التحليلية المعاصرة على يد مجموعة من الفلاسفة الانجليز. واعتبرت هذه الفلسفة ثورة فكرية تركّز هدفها حول إعادة الاعتبار للفلسفة بعد أن طغى عليها التصور المثالي الميتافيزيقي.

ومن هنا حاولت تجاوز ذلك متجهة نحو اعتماد منهج التحليل الرياضي القائم على القواعد المنطقية، أُضيفَ إلى ذلك أنها أسست لفلسفة معرفية محاولة الكشف عن العالم الخارجي وبالتالي محاولة التقريب بين الفلسفة والعلم من أجل خدمة الأغراض الإنسانية. ومن هنا يمكن اعتبارها ثورة على الفلسفة ذاتها عندما وضعها موضع تساؤل ونقد

الكلمات المفتاحية: المنهج؛ العلم؛ التحليل؛ الفلسفة؛ الاستدلال.

**Abstract:** The true beginnings of contemporary analytic philosophy emerged through the efforts of a group of English philosophers. This philosophy was regarded as an intellectual revolution, with its primary aim being the restoration of philosophy's credibility after it had been overshadowed by idealistic metaphysical perspectives. Consequently, it sought to transcend these limitations by adopting a mathematical analysis method grounded in logical principles. Additionally, it established an epistemological philosophy aimed at uncovering the external world, thereby striving to bridge the gap between philosophy and science to serve human purposes. Thus, it can be considered a revolution within philosophy itself, as it subjected philosophy to questioning and critique.

**Keywords:** method; science; analysis; philosophy; reasoning.

\* المؤلف المُرسل: habibiahmed2012@gmail.com

## 1. مقدّمة:

ظلت الفلسفة الإنجليزية ملتزمة التزاما تاما بتراتها القومي والذي كان منعزلا نسبيا عن أي تراث أجنبي، وبهذا المعنى فإنها بقيت رافضة لأي تسرب ممكن لأفكار وثقافات أخرى. فما ميّز هذه الفلسفة بصفة عامة هو طابعها التجريبي، وذلك بدءا من فترة القرن السادس عشر للميلاد.

فبوجه عام، وانطلاقا من هذه المعطيات نلاحظ أن الفلسفة الإنجليزية في مختلف مراحلها ظلت رافضة لتلك التنظيرات العمومية الكبرى التي طبعت بها الفلسفة المثالية، وبخاصة فلسفة هيغل وكانط.

فأخطر صفة يخشاها الإنجليز هي التعمّق في الفضاءات المجردة أو ما يسمى بالميتافيزيقا. لهذا فإنهم يفضلون الطابع الوضعي في التفكير.

انطلاقا من هذا التصور الفلسفي، ما هي الأسس والقواعد التي بنيت عليها الفلسفة التحليلية عند برتراند راسل<sup>1</sup>، وما هو المنهج الكفيل باستخلاص الحقيقة عنده؟ هل القطيعة التي أحدثها راسل مع التصورات الفلسفية الكلاسيكية فيما يخص المنهج كانت كفيلة ببلوغ الغاية القصوى في مجال تحصيل الحقيقة؟

## 2. مفهوم التحليل لغة واصطلاحا:

إن كلمة تحليل في معناها تدل على التقسيم والتفكيك وهو يختلف باختلاف الشيء المراد تفكيكية وتقسيمه وباختلاف النتائج المتوصل إليها من ذلك.

فالمواضيع المفككة والمحللة قد تكون مادية وواقعية مثل المواد الكيماوية، وقد تكون عقلية كالقضايا بالرياضية والمنطقية.

"التحليل عكس التركيب، وهو إرجاع الكل إلى أجزائه، فإذا كان الشيء المحلل واقعيا سمي تحليلا حقيقيا، وإذا كان ذهنيا سمي التحليل خياليا. فهناك التحليل التجريبي المعوّل عليه في الطريقة التجريبية. أما التحليل العقلي أو الرياضي فهو أن تؤلف سلسلة

<sup>1</sup> راسل برتراند فيلسوف إنجليزي ولد في منطقة ويلز (بريطانيا) في 18 ماي 1872 وتوفي شمال مقاطعة الويلز في 02 فبراير 1970 لقد أبدى راسل ميوله إلى الرياضيات منذ سنين مبكرة، حيث قدم إسهامات كبيرة في ميدان فلسفة الرياضية والمنطق الرياضي. وقد أعجب في بداياته الأولى بالفلسفة المثالية على يد كل من براولي وهيغل، حيث اعتقد بأن الميتافيزيقا هي الفلسفة الكفيلة بحل المشاكل الكونية، حيث تخلى هنا عن العقائد الدينية. لقد بلغ راسل أوج نضجه في عمله الفكري حيث أسس الفلسفة الرياضية وفقا لقواعد جديدة تم فيها ربط الرياضيات بالمنطق.

من القضايا أولها القضية المراد إثباتها وآخرها القضية المعلومة" (بدوي عبد الرحمن، 1984، الصفحات 254-255)

أما من الناحية الإصلاحية الفلسفية فإن المقصود من التحليل التوضيح عن طريق إبراز ما يتضمنه من العناصر البسيطة بحيث تكون غامضة بسبب تركيبها وتعقيدها. أما من حيث المنهج فإننا نلاحظ باستخدام المفهوم مع توافر شرطين أساسيين يتعلق الأول بتساوي العناصر المحللة للعبارة المحللة، أما الثاني فهو مراعاة البساطة والدقة في التحليل.

"عادة ما تعني كلمة تحليل فك كل مركب إلى أجزائه، وتقابلها كلمة تركيب التي تعني بناء الكل من الأجزاء، أي ربط وتجميع عناصر الكل المنفصلة، في وحدة واحدة شاملة. فالتحليل الفلسفي إذن يقصد معرفة مختلف النتائج التي تترتب عن الفكرة التي تريد تحليلها، والفلاسفة يربطون في عملية التحليل بين الفكرة ومعناها، إذ الفكرة تكسب معناها عندما تكون لها نتيجة (عزمي، د ت، صفحة 225).

فالتحليل في مجال المنطق يهدف إلى ربط الفلسفة بالمنطق مؤكدا بذلك استبعاد كل التأملات الميتافيزيقية خاصة عند أنصار المدرسة الوضعية الذين فكروا واستبعدوا كل نشاط فكري يخرج عن الفضاء الطبيعي.

أما في المجال المنطقي والرياضي فعناية التحليل تركز على المفاهيم العلمية، والقضايا البديهية والفروض وكذا المبادئ.

ومن هنا نلاحظ كيف أن الفلسفة التحليلية تحولت نحو الذرية المنطقية، وأن هذا التوجه تميز به عمل برتراند راسل، وهو ما جعله يخطو خطوة جديدة بفضل المنهج التحليلي، ذلك المنهج الذي تأثر فيه بالرياضيات والمنطق.

"يبدو أن ما ساعد راسل على خطوة الانتقال نحو فضاءات المنطق هو أنه جاء حاملا معه تراثا غنيا في التحليل المنطقي والرياضي، وهنا ظهرت تحليلات راسل المنطقية وكأنها أنماط من التحليلات الجديدة (عطية، د ت، صفحة 69).

### 3. فلسفة التحليل عند برتراند راسل:

مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 عادت المثالية بقوة إلى الفلسفات الغربية، حيث سيطرة المثالية الهيكلية على الفكر آنذاك، ومن هنا تعين على برتراند راسل وإدوارد مور التصدي لهذه النزعة الفلسفية

وهنا أصدر مور مقاله المتعلق برفض المثالية، كما أصدر راسل كتابه أصول الرياضيات عام 1904، وعلى غرار ذلك أفلت المثالية في إنجلترا إلى الأبد.

"الفلسفة تتطلب البرهان المنطقي وليست تأليفاً تمليه المنافع الإنسانية كما يريد أصحاب الاتجاه البرجماتي. والمنطق يدرس جميع العلاقات الممكنة، وهذه العلاقات تأليفات حرة تحسم بينها التجربة، فتأخذ بالعلاقات المطابقة للتجربة ويغفل ما عداها. والعالم الخارجي أصوله ذرات هي أحداث، والمركبات تتألف من هذه الأصول" (كرم، 2012، صفحة 458).

وبهذا المعنى سار راسل من أتباع نظرية المعرفة الواقعية والتي وضع أسسها الأولى زميله جورج مور حيث أطلق إسم التحليل الجديد على منهجه وذلك سنة 1898.

كل ذلك كان رد فعل على النظرية المثالية. "كان هناك تحول آخر عرف بالواقعية الجديدة يتزعمه جورج مور، وتابعه في ذلك برتراند راسل الذي عرف المذاهب المثالية وهو طالب، فعكف على دراسة كانط وهيغل، إلا أن راسل قد تحول إلى الواقعية الجديدة بتأثير جورج مور واطلاعه على منهجه الفلسفي التحليلي الجديد.

"لكنه ورغم أن كل من جورج مور، وبرتراند راسل يمثلان القطبين الرئيسيين في الفلسفة التحليلية، إلا أن وجهة نظر راسل مختلفة ومتميزة عن فلسفة جورج مور" (كونجوود، د ت، صفحة 47). بحيث أن التعرف على موقف مور لوحده لا يكفي لإلقاء النظرة الدقيقة على موقف راسل من ذلك.

"لقد انتهى راسل إلى ممارسة التحليل التعريفي نفسه الذي مارسه مور، لكن لأسباب جد مختلفة، ولأغراض جد مختلفة. فالصورة التي وضعها راسل للعالم كانت صورة مكونة من وقائع ذرية، وفي مقابل كل منها قضية ذرية تصدق عليها" (جونان، وج، أو أرمسون، 2013، الصفحات 116-117).

وبهذا المعنى فإن راسل يؤكد على الطابع المنطقي والرياضي لمسألة التحليل أو ما يسميه هو الذرات المنطقية.

"لقد أكد راسل مرات عديدة على انتمائه إلى التحليلية، والتحليل عنده هو التحليل المنطقي، والنتائج التي يتوصل إليها بواسطة التحليل نتائج منطقية (ذرات + منطقية) وليست فيزيائية إلا أن راسل لم يضبط مفهوم التحليل الذي أقام عليه فكره، ولم يحدد وسائله" (Bertrand Russell, 1921).

فمنهج التحليل إذن هو امتداد للفلسفات التجريبية والزعة الوضعية التي نشأت في إنجلترا خلال القرن 16، و 17. الهم الأساسي الذي شغل حال برتراند راسل فيما يخص المنهج التحليلي هو أنه اعتبر ذلك من صميم العمل المنطقي وذلك قصد إزالة كل مظاهر الغموض المفترضة في تأسيس المعرفة.

فالتحليل إذن عمل ذهني في المقام الأول. والتحليل المعزول عن البحوث الواقعية يعد عملا قاصرا وأجوفاً، إذ البحث العلمي الذي لا يقوم على الفهم الحقيقي لمختلف معاني الموضوع وعملياته لن يكون سوى بحثاً عقيم أعمى.

والتحليل مثلما سوف ترى لاحقاً مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعقلية راسل الرياضية والمنطقية حيث الرجوع إلى العناصر الأولية البسيطة والوحدات الجزئية التي يقوم عليها الفكر، حيث منها تبدأ المعرفة البشرية

#### 4. خصائص التحليل عند برتراند راسل:

يتميز المنهج التحليلي عند راسل بميزات متعددة منها أنه:

##### 1.4 الطابع الوضعي:

المنهج التحليلي منهج وضعي حيث أنه ينطلق من الواقع الميداني وذلك عندما يحلل وحداته إلى ذرات. "إن نظرية المعرفة والرأي فيها والاهتمام بها هي من أهم ما يميز المدرسة الواقعية الجديدة. فمتى يجوز لنا أن نقول عن عبارة أنها صادقة سواء كان ذلك في العلم أو في الحياة اليومية كان المثاليون يأخذون كمثال الاتساق أساساً، أما المدرسة الواقعية الجديدة فترى في معيار الصدق رأي آخر هو أن يكون معيار الصدق التطابق بين القول والموضوع" (زكي نجيب، د ت، الصفحات 38-39).

##### 2.4 الطابع الشكي والنقدي:

يعتبر الشك السمة الأساسية التي تتميز بها الفلسفة التحليلية والمنهج التحليلي على وجه الخصوص.

فالشكوك قامت أساساً حول الفلسفات والمناهج الكلاسيكية وخاصة المناهج ذات الطابع المثالي الميتافيزيقي التي كانت تتسم به أي أن المثالية مطابقة للحقيقة وهذا ما استدعى اتخاذ موقف نقدي أمام هذه التصورات.

"إن النتائج التي تنتهي إليها الفلسفة لا تختلف اختلافا جوهريا عن النتائج التي يصل إليها العلم، وكل ما يميز الفلسفة عن العلم هو أنها أكثر نقدا وتعميما" (برتراند، د ت، صفحة 320).

### 3.4 الطابع الرياضي:

إن السمة الأساسية التي تميز المدرسة التحليلية وبالتالي المنهج التحليلي هي أن كل التحليلات تتخذ السمة الرياضية وبالتالي فإن العلوم الرياضية خاصة تشكل المادة الخام للمنهج التحليلي عند راسل. "هذه التحليلات وأشباهاها في أصول الرياضة والعلم الطبيعي هي ما نعنيه حين نقول أن فلاسفة الواقعية الحديثة يهتمون بالعلوم والرياضة.

### 4.4 الطابع الكمي:

إن ما يميز الفلسفة التحليلية من حيث منهجها هو أنها اعتمدت في تحليلاتها على السمة الرياضية. والمقصود هنا أن تتخذ الفلسفة التحليلية من الرياضيات كونها تأخذ بمبادئ العلم وليس بمبادئ الفلسفة النظرية التقليدية. فنظريات العلم بحد ذاتها تعد مادة خام بالنسبة لهذه الفلسفة. إضافة إلى أن راسل قد أطلق عليها مسمى آخر هو مسمى الذرية المنطقية. حيث يرى البعض أن لها علاقة بالانجاء التجريبي عند دافيد هيوم غذ أن هذا الأخير كان بدوره فيلسوفا ذريا، فحين أن ذرية راسل هي ذرية منطقية. "كان راسل يعتقد أن التحليل يجب أن ينصب على القضايا، ولهذا يصف فلسفته الذرية بأنها منطقية" يصف راسل منهجه بأنه منهج محدد تماما، قابل للتجسيد، وهذا المنهج أشبه بعملية رؤيتنا لشيء بالعين المجردة أولا ثم فحصه بعد ذلك من خلال مجهر، فعند تركيز الانتباه تظهر تقسيمات وتميزات لم يكن أي منها ظاهر من قبل (s.Stebing, 1933, pp. 75-76).

وهنا تتضح الغاية من التحليل بأنها محاولة لإزالة كل من مظاهر الغموض والتعقيد من خلال تفكيك الأجزاء، وهي بالطبع الصورة الواقعية الحقيقية.

### 5. المنطق الرياضي عند برتراند راسل:

إن التطور الذي عرفته المنظومة الفكرية المعاصرة أثر على مختلف الفضاءات الفكرية، ودعي في الآن ذاته إلى تجديد الرؤية حول مختلف التصورات التي ظلت ثابتة إلى عهد قريب من الزمن، وسوف نحاول في هذا المقال أن نكشف عن أبعاد نظرية برتراند راسل

التحليلية في مجال المنطق والرياضيات، لقد ظلت مساعي برتراند راسل مستمرة عند بداية القرن 20، وذلك من أجل رد الرياضيات إلى المنطق، وهذا المصدر يشكل أقوى تجسيد لهذه المرحلة من فلسفة راسل ومن منهجه التحليلي.

إن المنطق هو الذي رسم لراسل معالم العالم الواقعي المفرط في صورته الواقعية حتى امتد ذلك إلى فلسفته في الرياضيات فجعل كياناتها واقعية". من هنا اعتبر المنطق الرياضي سبيلا أساسيا ومنهجيا فعالا في هذا المجال.

"تكمّن أهمية المنطق الرياضي في أنه يقدم وسيلة لإجراء تحليلات قوية وكاشفة فلسفيا للأبنية، وهي بالتحديد أبنية القضايا والوقائع" (الخولى، 2000، صفحة 269).

من هنا يتبين بأن تحليل القضايا يبرهن على أهمية تناولها بصورة مفصلة وليس بشكل شمولي وكلي. وهكذا يرى راسل بأن العالم يتألف من أشياء لها صفات وعلاقة متعددة.

### 1.5 علاقة اللزوم عند راسل:

تعد علاقة اللزوم خصوصية من خصوصيات التفكير الرياضي عند راسل، وهو شبيه بالقضايا الشرطية بحيث أن شيئا ما يلزم عنه شيء آخر بالضرورة. هذه هي الحالة التي يسمي فيها راسل الرياضيات بالحياة، إذ تعد المدخل الرئيسي لمختلف القضايا.

"إذا تصورنا أن "ق" يلزم عنها "ك" (جرايلنج، 2014) حيث "ق" و"ك" قضيتان تشملان على متغير واحد أو جملة متغيرات هي بذاتها في القضية، علما بأن كلا من "ق" و"ك" تشمل على الثوابت غير الثوابت المنطقية، الثوابت المنطقية هي كل المعاني التي يمكن تعريفها بدلالة اللزوم (برتراند، د ت، صفحة 31)

وعلاقة الحد بالفصل الذي هو أحد أفرادهِ وبهذا نقول أن راسل منح لعلاقة اللزوم أهمية كبرى واعتبرها الأداة الرئيسية لكل تفكير رياضي منطقي، وهو ما يؤكد ربط المادي بالصوري، وعليه لا يمكن التفرقة بين هذين الوجيهين.

وأن أهم موضوع في الرياضيات هو الثوابت المنطقية التي تساعدنا على تحليل القضايا والعلاقات، وأن راسل يعرفها كما يلي:

### 2.5 المنطق بين الصورية والرمزية:

تُعَدّ الصورية والرمزية مصطلحين متقابلين، إلّا أنهما يتكفلان بدراسة الأنواع العامة للاستنباط، وإن كلمة رمزي تطلق على هذه الدراسة نظرا لاستخدام الرموز فيها، أما في

مستوى المنهج التحليلي عند راسل فإن للمنطق الرمزي أهمية كبيرة حيث ينقسم إلى أقسام ثلاثة:

"يتكون المنطق الرمزي من ثلاث أقسام هي الحساب التحليلي للقضايا والحساب التحليلي للفصول، والحساب التحليلي للعلاقات، ويوجد بين القسمين الأول والثاني داخل حدود خاصة توازن معين ينشأ كما يأتي: في أي تعبير رمزي يمكن تفسير الحروف على أنها فصولاً أو قضايا وحينئذ يمكن استبدال اللزوم الصوري في الحالة الثانية بعلاقة الاستغراق في الحالة الأولى" (برتراند، د ت، صفحة 43)

### 3.5 المنهج العلمي في الظواهر الطبيعية:

قبل التطرق إلى مسألة المنهج في الظواهر الطبيعية يجدر الإشارة إلى أن العلم كما يدل اسمه فإنه صنف من أصناف المعرفة، لكنه يشكل نوعاً خاصاً من هذه المعرفة. "العلم مرادف للمعرفة إلا أنه يتميز عنها بكونه مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم، وقد يقال أن مفهوم العلم أخص من مفهوم المعرفة لأن المعرفة قسمان: معرفة عامة، ومعرفة علمية، والمعرفة العلمية أعلى درجات المعرفة وهي التعقل المحض والمعرفة الكاملة وغايتها الكشف عن العلاقات الضرورية بين الظواهر، وهي غاية نظرية" (صليباً، 1982، صفحة 99).

إن إيمان راسل بالمنهج العلمي في مجال الظواهر الطبيعية جعله يعترف اعتراف صريحاً بخطوات هذا المنهج والمتمثلة في الملاحظة والفرضية والتجريب ثم استنتاج نتائج عامة تفسر بواسطتها ظواهر طبيعية

"إننا لكي نصل إلى قانون علمي يجب أن نمر بثلاث مراحل رئيسية الأولى ملاحظة الحقائق ذات الدلالة والثانية الوصول إلى فرض يفسر هذه الحقائق إن صح، والثالثة أن تستنبط من هذا الفرض بطريقة القياس نتائج يمكن اختبارها بالملاحظة، فإذا تبينت صحة النتائج قبل الفرض مؤقتاً على أنه فرض صحيح، وإن كان في العادة يحتاج إلى إجراء تعديل فيه فيما بعد، نتيجة لكشف حقائق جديدة" (برتراند، 2015، صفحة 71).

وعلى هذا الأساس فإن تصحيح المعرفة العلمية في مجال الظواهر الطبيعية معرفة متطورة، متكونة من قضايا متعددة بعضها فوق بعض درجات أدناها متعلق بالقضايا

الخاصة وأعلائها يتعلق بالقوانين العامة الشاملة المعتمدة للكون. وأن ما بجميع الحقائق العلمية في مجال الطبيعة هو علاقات منطقية يترابط فيها الاستقراء بالقياس. أي الانتقال من قضايا وعينات بجزئية إلى ما يترتب عنها من حقائق كلية شاملة. "في التحقيق العلمي ينبغي أن نسير على الوجه الآتي: الحقائق الفردية أ، ب، ج، د... إلخ توحى باحتمال عمل قانون عام وتكون كلها إن صح أمثلة، وتوحى مجموعة أخرى من الحقائق بقانون عام آخر، وهكذا وكل هذه القوانين العامة توحى بطريقة الاستقراء بقانون أعلى مرتبة في التعميم، ومن القانون العام نبدأها فإن صح كانت له هذه القوانين العامة مجرد أمثلة، وستكون هناك مراحل كثيرة من هذا القبيل في الانتقال من الحقائق الخاصة المدركة بالملاحظة إلى أشد القوانين في عموميتها" (برتراند، 2015، الصفحات 72-73).

يشيد برتراند راسل بأهمية الملاحظة والتجربة في دقة وثبات المعرفة العلمية، إذ تساعدنا على الرؤية الدقيقة والموضوعية للظاهرة. "أرأيت مثلاً كيف زادت معلوماتنا عن المادة بفضل اكتشاف أشعة إكس والنشاط الإشعاعي، ورأيت كيف أن كلا هذين الاكتشافين ما كنا ليحدثان لولا فن التجربة في تمام اتقانه" (برتراند، 2015، صفحة 77) في مقابل ذلك يقر راسل بأن الحسابات العلمية على مستوى الطبيعة الحية تبدو أقل دقة مما هي عليه في ظواهر الطبيعة الجامدة، وهذا الأمر يؤكد صراحة أن كل معارفنا واستنتاجاتنا هي في طبيعتها نسبية تقريبية.

"وفي نظرية إنشتين وهي أكثر تعقيدا من نظرية نيوتن بكثير، يستحيل أن تحسب بدقة نظرية وحتى كيفية تحرك خمسين تحت تأثير تجاذبها المتبادل وإن كان من الممكن الحصول على تقرب يفي بالأغراض العملية.. فإن النظرية التامة في دقتها لم تزل أمر فوق طاقة البشر تماماً. إني أقر أن العلم الدقيق تسيطر عليه فكرة التقريب" (برتراند، 2015، صفحة 79).

هكذا يتبين الطابع الشكي للمعرفة العلمية وهذا في حد ذاته تأكيداً على صحة النظرية النسبية في الفيزياء المعاصرة وهذه الميزة الموجودة في المعارف العلمية الطبيعية إنما ترجع إلى العمليات المنطقية المعتمدة وأخص بالذكر منطق الاستقراء حيث يقر راسل بأن الاستقراء معرض للشك وغير قادر على تحقيق نتائج تعينه وذلك لأن الظروف التي

تستعمل فيها هذه الاستدلالات هي ظروف متباينة ومختلفة. ويستحيل أن نجمع كل الفروض الممكنة في ظاهرة ما أو مجموعة من الظواهر، وهو ما يدفعنا إلى استعمال أبسط الفروض ونتجنب الفروض المعقدة.

"إن كل القوانين العلمية تقوم على الاستقرار، ولو نظرنا إلى الاستقرار من حيث هو عملية منطقية لوجدناه عرضه للشك وعاجزا عن إعطاء نتائج تعيينه" (برتراند، 2015، صفحة 84).

لقد اضطر العلم في مجال الطبيعة أن يلتفت إلى أمثلة الرأي العادي الذي لا يجد مبررا له في الواقع.

فعالم الطبيعة إذن يشكل موجة من المعلومات والحقائق الاجتماعية المتذبذبة وما يثبت ذلك هو أن المراحل الراهنة تعبر عن قصور النظرة العلمية أكثر من أي وقت مضى.

و الخلاصة أن الفلسفة التجريبية حسب راسل تنفي كل ما هو مناف ومتجاوز للعقل البشر كما أنها لا تطمح في تحقيق نتائج مطلقة بل كل ما الأمر أن هناك نتائج جزئية.

**4.5 المنهج التحليلي في العلوم الإنسانية:**

مجال العلوم الإنسانية هو الآخر حظي بالنصيب الأوفر من الدراسة بواسطة المنهج التحليلي داخل المدارس الفلسفية المعاصرة.

لقد كانت محاولة راسل في هذا المجال هي سعيه المستمر لفهم الحياة النفسية الاجتماعية.

#### علم النفسي:

إن النظرة التقليدية لعلم النفسي تؤكد أن هذا النوع من الظواهر يصنف ضمن دائرة المعارف الفلسفية، حيث ساد آنذاك التحليل اللفظي للحقائق النفسية باعتبارها تشكل مظهرا من مظاهر الظواهر الإنسانية. وفي نفس الوقت تعد الظواهر الإنسانية فرعا من الفروع العلمية.

"يطلق هذا المصطلح على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية وهي تبحث في أصول الناس وسلوكهم أفرادا كانوا أو جماعات كعلم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم التاريخ." (صليبيا، 1982، صفحة 101).

فإذا كانت العلوم المادية يقوم على النهج الاستقرائي معتمدة على ظاهرة القياس لكل الحوادث الملاحظة، فقد كان سعي علماء النفس بشكل دائم ومستمر نحو اكتشاف ظواهر نفسية تقبل الملاحظة وبالتالي تكون قابلة للقياس. فقد ظل علم النفسي عاجزا عن الارتقاء إلى مستوى العلمية لأنه لم يكن باستطاعته فرض رقابة فعلية على مختلف العمليات العقلية، كما كانت الدراسات النفسية تابعة للحركات الدينية آنذاك، حيث استغل علم النفس من أجل تدريب النفوس وكذا السيطرة على التائبين.

"إن علم النفس كما كان يبحث في كل مكان في الماضي، كان عاجزا عن إعطاء الرقابة الفعلية على العمليات العقلية، ولعلنا نستطيع القول عموما بأن السيويون كان جل اعتمادهم على السلوكية في تدريب أنفسهم، وعلى التحليل النفسي في السيطرة على التائبين" (برتراند، 2015، صفحة 214).

إن علم النفس الحديث حسب وجهة نظرا الاتجاه التحليلي يحتوي على نهجين يختلفان كل الاختلاف عن مدرسة فرويد وبافلوف معا.

بحيث أهداف فرويد كانت في معظمها علاجية.

فالتحليل النفسي إذن هو محاولة يكشف من خلالها الطبيب عن الرغبات غير الشعورية.

"فالتحليل النفسي بوصفه علاجا هو طريقة تهدف إلى إحلال الرغبات غير الشخصية محل الرغبات الشخصية فكما بلغت الرغبات الشخصية حدا يجعلها غير متلائمة مع السلوك الاجتماعي" (برتراند، 2015، صفحة 222)

أما بالنسبة للمدرسة السلوكية فإنها تختلف عن مدرسة التحليل النفسي وهي أقرب إلى التفسير العلمي من المدرسة التحليلية.

بينما يؤكد راسل على أهمية المنهج التحليلي في علم النفس، من حيث الاعتماد عليه في مجال التربية وذلك عندما يتعلق الأمر بضبط وتوجيه الغرائز النفسية، إذ العلاقات العاطفية مثلا يجب النظر إليها بالنهج التحليلي النفسي.

"في الأغراض العملية للمنهج التربوي أظن أنه سيوجد أن المربي ينبغي أن يسير على نهج التحليل النفسي حين ينصرف إلى أمور تتعلق بالغرائز القوية ولكنه يسير على نهج السلوكية فيما يراه الطفل غير مهم من الوجهة العاطفية. فمثلا حب الوالدين ينبغي

النظر إليه بعين المحلل النفسي أما تنظيف الأسنان بالفرشاة فيجب النظر إليه بعين السلوكي" (برتراند، 2015، صفحة 224).

ويسير راسل في النهاية إلى أن المناهج العلمية في مجال علم النفس لا تزال محدودة الأهمية والفاعلية، ولعل المقدرة البشرية تبدع أساليب جديدة في المستقبل تكون قادرة على تشكيل عقلية الفرد باعتبار أن العملية ما زالت في مهدها.

**علم الاجتماع:**

إنه ورغم التأخر الحاصل في مجال العلوم الاجتماعية إلا أن الدراسة العلمية قد قطعت أشواطاً متقدمة، وذلك نظراً للدلائل المستعملة في هذا المجال حيث نرى بأنها تقترب كثيراً إلى العلمية، وهنا يشيد برتراند راسل بالأعمال التي قدمها الكثير من العلماء في مجال علم الاجتماع والاقتصاد.

"إن نظرية ملتوس في السكان سواء أصبحت أم لم تصبح هي نظرية علمية. فالحجج التي يستخدمها في تأييدها لا تستند إلى التعصب بل إلى إحصاء السكان ونفقات الزراعة. وكذلك كان آدم سميث وريكاردو علميين في الاقتصاد. وأكرر أنني لا أعني بذلك أن نظريتهما صحيحة لا يأتيها الشك بل أعني أن نظريتهما وطريقتهما في التدليل لها المميزات التي تميز الطريقة العلمية" (برتراند، 2015، صفحة 227).

هكذا تبدو النظرة الموضوعية للفيلسوف برتراند راسل فيما يخص تطبيقات المنهج العلمي على العلوم الإنسانية وهو يعترف ضمناً بالطابع النسبي للحقائق المحصلة في هذا المستوى من الظواهر.

من هنا يمكننا أن نستخلص كميات معتبرة من المعرفة العلمية الممنهجة في مجال الظواهر الاجتماعية.

**خاتمة:**

تبدو المهمة الأساسية التي عنيت بها المدرسة التحليلية في الحقل المعرفي الإستمولوجي تحليلاً للمفاهيم والمناهج ومختلف فروع البحث العلمي بداية من المنطق الرياضي إلى فروع العلوم الطبيعية وصولاً إلى مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. ويبدو أيضاً أنّ المنهج العلمي حسب هذه المدرسة قد تفاوتت درجات نجاحه وذلك بتفاوت واختلاف الظواهر.

فعلى الرغم من كل الانتقادات الموجهة إلى المدرسة التحليلية إلا أنه يجب التأكيد على أن مشروع راسل قد استطاع التأسيس لفلسفة واقعية ذات فعالية أنجع من الفلسفات التقليدية، خاصة تلك التي بنيت على القواعد الميتافيزيقية، والتي كانت تتصف بالوثوقية واليقين المطلق.

أضف إلى ذلك أن مشروع راسل قد بني على قواعد منطقية رياضية، وهنا وجبت الإشارة إلى الطابع العلمي الذي تميز به هذا المنهج.

وفي الأخير يمكن الإشارة أيضا إلى أن راسل قد سعى من خلال نسقه الفلسفي أن يسخر الفلسفة كأداة لتحليل مفاهيم العلم وبالتالي حل الكثير من مشاكل الإنسان.

"والعالم الذي تقدمه لنا الفلسفة القائمة على نتائج العلم الحديث هو في كثير من نواحيه أقرب إلى نفوسنا من العالم المادي الذي كانوا يتصورونه في القرون الماضية، وذلك لأن الأحداث التي نقول الآن أنها قوام العقل، إن هي إلا جزء من مجرى الطبيعة.. ولم تعد بنا حاجة تدفعنا دفعاً إلى تصور أنفسنا في صورة الضئيل العاجز تحركه القوى الكونية العظمى.." (برتراند راسل، 1969، الصفحات 267-268).

هكذا تبدو النظرة العلمية لفلسفة راسل، وأخص بالذكر علمية المنهج باعتبارها عملية ضرورية حاسمة في حياة الإنسان.

وما يهمنا هو أننا نستفيد من فلسفة راسل في إمكانية التخلص من التصورات الوهمية ذات الطابع الميتافيزيقي إلى رؤية علمية واقعية تطهّرنا من كل خطأ معرفي أو منهجي محتمل.

### قائمة المصادر والمراجع:

- Bertrand Russell. (1921). the analysis of mind published, October 17 th ,2007, by dowef publication.
- s.Stebing. (1933). the method of analysis in metaphysics, the pocceding of the Aristotelian society, vol xxx 111,1932.
- أحمد عبد الحليم عطية. (د ت). الفلسفة التحليلية ماهيتها مصادرها، مفكرها . بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.
- إسلام عزمي. (د ت). اتجاهات في الفلسفة المعاصرة. الكويت: وكالة المطبوعات.
- إيه سي جرايلينج. (2014). مقدمة قصيرة جدا. (تر: إيمان جمال الدين القراموي) الجزائر: مؤسسة هندواي.
- بدوي عبد الرحمن. (1984). الموسوعة الفلسفية، ج2. بيروت: المؤسسة الغربية للدراسات والنشر.
- برتراند راسل. (1969). الفلسفة بنظرة علمية. (تلخيص وتقويم: زكي نجيب محمود) القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي ج 1. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- جونا ثان، وج، أو أرمسون. (2013). الموسوعة الفلسفية المختصرة. (تر: فؤاد كامل وآخرون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- رجب، كنجوود. (د ت). المنهج الفلسفي. (تر: فاطمة إسماعيل) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- راسل برتراند. (د ت). حكمة الغرب، ج 2 (المجلدات ج 2، عدد 19). (تر: فؤاد زكريا) الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- راسل برتراند. (د ت). أصول الرياضيات. (تر: محمد موسى أحمد) مصر: دار المعارف.
- راسل برتراند. (2015). النظرة العلمية (المجلد العدد 1947). (تر: عثمان نويه) القاهرة: المركز القومي للتنمية.
- عبد الرحمن بدوي. (1984). الموسوعة الفلسفية، ج 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- محمود زكي نجيب. (د ت). نوايغ الفكر الغربي. القاهرة: دار المعارف.
- بمى طريف الخولى. (2000). فلسفة العلم في القرن 20 (المجلد العدد 264). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- يوسف كرم. (2012). تاريخ الفلسفة الحديثة. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.